

آثر القرآن في الكرم في اللغة العربية

THE IMPACT OF HOLY QURAN ON THE ARABIC LANGUAGE

الدكتور. أخلاق أحمد، أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد باكستان

akhlaqahmad@iiu.edu.pk

الدكتور. سمح اللذيري أستاذ مساعد في

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

بجامعة إقبال المفتوحة، إسلام آباد - باكستان

sami.zubairi@gmail.com

ABSTRACT

The Noble Qur'an will remain lofty, and its miraculousness will remain standing, challenging the whole world with its eloquence and eloquence in terms of solid artistic style, with its scientific facts and various knowledge in terms of sciences and arts, and its enormous linguistic wealth that left the Arabic language in various topics and different axes as it bears in its lines proof of the loftiness of this book and the verse Because of his miraculousness as long as the world exists, so this language remains alive and prevailing among all the languages of the world with pride and pride, thanks to this Noble Qur'an and its receipt of the lexicon that God sent down to it from heaven, and paved the way for progress and development as it swept the languages of the world and replaced it with all strength, activity and dominance.

And God raised the status and glory of this Arabic language, as the whole world spoke it on the tongue of a generous messenger and an illiterate prophet who did not know writing or reading, that they all came with a surah like him, so they were all unable even though they were competing in the markets with eloquence and eloquence, and rising from every tribe a writer or poet speaks Replace him with poetry, prose, or similar advice to show his superiority with it.

This brief study presents a vision of the development and progress of the Quraish dialect, and the extent of the importance of Arab markets in its formation of a formal language, and its preference among the prevailing Arabic dialects, and thus the progress of the impact of the Holy Qur'an on its immortality and giving it a complete linguistic system to become a living and immortal language as long as the Holy Qur'an.

ملخص المقال:

سيظل القرآن الكريم شاهداً، وسيظل إجازته قائماً تحدى العالم كله بفضاحته وبلاغته من حيث الأسلوب الفني المتين، وبثقافته العلمية ومعارفه المنوعة من حيث العلوم والفنون، وثره اللغوية الهائلة التي خلفت اللغة العربية في موضوعات شتى، ومحاور مختلفة إذ ظل في سطورها برهاناً شامخاً لهذا الكتاب وآية لإجازه مادامت الدنيا قائمة، فتنسج هذه اللغة حياً قائمة سائدة بين لغات العالم كلها بكل اعتراز وفخر، بفضل هذا القرآن الكريم وتسلمه المعجم الذي أنزله الله لها من السماء، ومهدت لها سبل التقدم والتطور إذ اكتسحت لغات العالم وحلت محلها بكل قوة ونشاط وغلبة.

وقد رفع شأن هذه اللغة العربية وعزتها إذ تحدث بها العالم كله على لسان رسول كريم ونبي أي لا يعرف الكتابة ولا القراءة بأن يأثراً جميعاً بسورة من مثله، فعبزوا جميعاً غم أنهم كانوا يتبارون في الأسواق بالفضاحة والبلاغة، ويرتفع من كل قبيلة أديب أو شاعر يدلي بدلوه إما بالشعر أو بالنثر أو بالنصيحة بالمثل لينظر تفوقه بها. تعرض هذه الدراسة الوجيزة رؤى عن تطور لهجة قريش ولقد لها، ومدى أهمية الأسواق العربية في تكوينها فصيحاً، وفضلها بين اللهجات العربية السائرة، وبالتالي تقدم أثر القرآن الكريم في خلوصها وإعطائها نظاماً لغوياً كاملاً لتصبح لغة حالية خالدة مادام القرآن الكريم.

المقدمة:

حظيت اللغة العربية بمكانة عظيمة بفضل القرآن الكريم، وغدت بذلك لسان النبوة والرسالة الأخيرة، وقد هيأها القرآن الكريم فرصة الانفتاح والتوسع لتحيط بكلام الله عز وجل إعانة كاملة، ويكتسب لباس الخلود والبقاء، ومن ثم تحولت إلى لغة حية خالدة لم يعثر عليها التغيير والتبدل بسبب شموخ القرآن الكريم وإعجازه في غاية الدرجة من الفصاحة والبلاغة،⁽¹⁾ وتمثل -اللغة العربية- بفضل القرآن الكريم وعاء الحضارة الإسلامية العالية في مشارق الأرض ومغاربها، وفوق هذا كله، قد اكتسبت مكانة عالية بين اللغات المعروفة.⁽²⁾

انفتحت اللغة العربية بالحضارة الإسلامية القرآنية على حضارات الأمم التي سبقتها، وتميزت بفضل القرآن العظيم عن سائر اللغات سامية ومكانة فريدة، حيث أثرت في كل حضارة وثقافة حالت واعترضت دون مسيرتها للنهضة والارتقاء، واصلت نشاطها كل قوة وجوية حتى ارتقت واستكملت فصيحها وتفوقها، وبلغت ببطاها وعظمتها وأصالتها حضارة تواردت على حياتها أعم كثيرة ناهلة من علومها قر وناعديدة.

استقامت اللغة العربية حين نزول القرآن الكريم لتمثل دورها الفريد في جمع العرب على لهجة واحدة، وهي لهجة قريش،⁽³⁾ التي سادت لهجات سائر القبائل وتفوقت عليها بالأدب الذي مارسه الشعراء والنثر في صور المعاني والدواوين والفنون الشعرية التي تجلت آثاره الفريدة في الجاهلية، وذلك نتيجة أن تتقوى هذه اللغة وتتحسن وتتنمى على أسسها الراسخة وقيمها النبوية لتصل في طياتها القرآن الكريم لمفاهيم عميقة نادرة ومجزة خالدة وإبداع لن تقضى عجايبه حتى يوم القيامة⁽⁴⁾، فاستجابة لهذه الوظيفة لبست لباس الخلود والبقاء إلى الأبدية. انطلقت اللغة العربية بفضل القرآن الكريم إلى البلاد الأخرى التي فتحها وامتزجت بثقافتها وامتزاجها واسعاً وفاضلاً عن الاحتكاك والآثر والتأثير والترجمة وأقبل عليها الناس إقبالاً واسعاً، وكان لهذا الامتزاج الفكري والثقافي أثر أو اضحاً في شيوع الأفكار الجديدة التي وسعت في ديارها، والمصطلحات الجديدة التي لم تكن شائعة فيها، إلى أن أصبحت العلوم الروحية والعقلية والفنون العلمية فضلاً عن القرآنية والقصصية⁽⁵⁾.

مر احل نضوجها:

مرت اللغة العربية بسببية اللغات بمر احل متعددة خلال تطورها وازدهارها عبر تاريخها الطويل، ووضعها العرب في وعاء كامل، واصطلحوا عليها، وحددوا ألفاظها على تعاقب العصور إلى أن جاء الإسلام، فرفع قدرها، وأعلى شأنها، وحفظها من الانقراض والضياع، وشرّفها عز وجل بأن جعلها لغة كتابه العظيم ورسالته الأخيرة وحوصلها إلى لغة الحضارة الإسلامية الخالدة، وفي هذه الوحدة تتسع هذه المراحل التاريخية التي مرت بها اللغة العربية في فصيحها وتطورها وارتقائها.

أسباب تكوين اللغة العربية الفصحى:

اختص الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لتكون لغة كتابه العظيم ورسالته الأخيرة، فهدى لها سبل السيادة والرعاية إذ فضل لهجة قريش على سائر لهجات تغلب على بقية اللهجات السائدة لدى القبائل الحميرية والمضرية بفروق مختلفة، وشرّفها القرآن الكريم شرفاً عظيماً.⁽⁶⁾

الأسواق:

وكانت للأسواق دور عظيم في سيطرة لهجة قريش من جانب وتقديم إنتاج أدبي رائع في شكل المعاني التي تحتل منزلة سامية في الأدب العربي، وكانت الأسواق تقام بالقرب من مكة المكرمة في مواسم الحج في أوقات معينة وأماكن مخصوصة في كل سنة، وكان العرب يحضرون ويختلفون إليها السموون تجارية وقضائية وأدبية اجتماعية،⁽⁷⁾ فيجالون فيها مفاديات

1- محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، (مصر، القاهرة: دار الآفاق العربية)، 1408هـ - 2002م، ص 9.

2- المصدر نفسه، ص 9-10.

3- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة)، ص 30-32.

4- الدكتور أحمد بسام الساعي، مختصر كتاب المعجزة لغة القرآن الكريم إعجاز أم مجرد عبقرية، الطبعة الأولى، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، ص 15.

5- الدكتور عمر فرخ، عبقرية اللغة العربية، الطبعة الأولى، (لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت)، 1981م، ص 15.

6- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البوليسية)، ص 15.

7- محمد عاطف، ومحمد نضار، وعبدالجواد، وأحمد إبراهيم، أدبيات اللغة العربية، الطبعة الأولى، (مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة)، 2012م، ص 12.

الأسرى، والخصومات، ويضربون إلى المفارقة والمفاضلة بالشعر والخطب، وكانوا ينافسون بالمنافرة المسابقة، ومن أشهر هذه الأسواق سوق "عكاظ" قرب مكة المكرمة، و"مجنة" و"ذوالحجاز" وكلاهما في ضواحي مكة أيضاً، وكان يجتمع فيها الأشراف والزملاء للمتاجرة والمفارقة، والمنافرة ومفارقة الأسرى، وتبادل عروض التجارة.⁽¹⁾

وفي البداية يشد كل شاعر قصيدته في لهجة قبليته التي ينتمي إليها، ويعرض عليه على قصيدته بقية القبائل تعصباً ويقلل قيمة الإنتاج الإقليمي زعماً بأن لهجته أقوى لغة أرفع شأنًا من لهجة قبليته، وأن شاعر قبليته أروع وأجمل بياناً ودروعة، وكان ذلك كله على الانطباع دون أسس علمية وضوابط فنية، وسار على هذا النهج بقية القبائل.

وكانت تلك القبائل بطبيعتها متباينة اللهجات، مختلفة العقائد والسياسة فكانت قريش يستمعون هذه اللهجات ويأخذون ما استحسنوه منها، فيديرون بها على أنفسهم، ويحجون على قيسه، وصارت تصحتم من أجود العرب انقفاءً للآفصح من الألفاظ، وأسكلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسوعاً، وبلغها تأثيراً في النفس والقلب.⁽²⁾

ولم يلبث أن اجتمعت هذه القبائل وأراد شيوخها ودكاها أن يتفقوا على لهجة يلجأ بها كل شاعر لإنتاجه الأدبي وتنظيم خواطره الرائعة ويمارس قريحته الفنية، وسرعان ما انتحى بهم المطاف إلى لهجة قريش، فإذ هم اختاروا لهجة قريش، وذلك لأنهم سدن البيت ومتوياً، وكانوا يقدرون وسائل الطعام والشراب وأسباب السكن والقيام للحجاج الذي يأتيون إلى زيارة بيت الله الحرام ولا سيما في مواسم الحج، وكانت القبائل كلها تحترم قبيلة قريش تفرحاً لا جل بيت الله المقدس، وبالإضافة إلى ذلك أن قبائل قريش ليسوا من المستقلين سبقة القبائل التي تستقل كثيراً إما وراء الرزق أو طلباً للماء، وللصيد، بينما تعيش قريش على التجارة،⁽³⁾ وكما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في سورة قريش.⁽⁴⁾

إلا ياب قريش ﴿١﴾ إلا فحيم رجلة النماء والشيب ﴿٢﴾ فلينبذوا رب هذا البيت

﴿٣﴾ الذي أظنهم من مجوح وأمنهم من مخوف ﴿٤﴾ ﴿٥﴾

ارتقاء لهجة قريش:

وتعاطى الشعر لهجة قريش في إنتاجهم الأدبي ومارسوها في قريحهم الشعرية والنثرية، فظهر فيها الإنتاج الأدبي الرائع في شكل العلاقات التي ذاع صيتها في الجزيرة العربية كلها آنذاك، لأنها بلغة يفهمها القبائل كلها وعرفوا بها، وتطورت هذه اللهجة تطوراً هائلاً وارتقت حتى يتوشى بها الشعراء والأساليب العالية والتركيب الرصينة التي تروق كل سامع، لا ينفرد منها أو يستغرها أحد، وكان من ثم للأسواق أثرٌ بلغ في توحيد اللغة وتعميم اللغة العربية وجعلها لغة مثالية وتغليب لهجة قريش وسيطرتها على سائر اللهجات.⁽⁶⁾

ومما يزيد قوة قريش ولهجتها أصحية بالعبارة ومنزلة عالية في النطاق الواسع هو أن مكة المكرمة في ذلك الوقت محطاً للقواف ومرکزاً لتجارة عهده القديم، وكانت موطن قريش موضوع إجمال واحترام لدى العرب بفضل الكعبة المقدسة التي يفتد إليها الحجاج من بلاد بعيدة ومدن شتى، ولذلك كانت قريش حظوا في توحيد اللغة، تهذيب لهجتها مما أخذته من لغات القبائل الواحدة عليه، مما جعل لغتها ترقى ولهجتها تتطور وأسلوبها يتقوى حتى يقلده العرب شعر أوتشراً، وبوشرون القول فيها نظماً وإلقاءً، وكانت الأسواق مثلت دوراً كبيراً في تقوية لهجة قريش وازدهارها في نواحي البلاد وأطرافها.⁽⁷⁾

1- م مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، الطبعة الأولى (مصر: المكتبة العصرية، 2002م)، ص 84.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البوليسية)، ص 15.

3- محمد علي صابوني، صفوة التفاسير، المجلد الرابع، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار القرآن الكريم)، 1981م، ص 607.

4- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة)، ص 30-32.

5- القرآن الكريم، سورة قريش.

6- الدكتور محمد داوود، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، جامعة قناة السويس، ص 9.

7- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البوليسية)، ص 52.

اللغة العربية والحضارات المتناخزة:

لم تنحصر لهجة قريش بمجزل عن تأثيرات اللهجات الأخرى واللغات المختلفة، بل كانت في احتكاك مستمر مع اللهجات الوافدة عليها واللغات الأجنبية التي يتكلم أهلها أثناء مواسم الحج، فأنضيفت إليها ثروة لغوية من اللهجات القبائل المختلفة والحضارة القحطانية وحضارات أخرى من مصر وفارسية والروم والحبشة عن طريق التجارة أو طريق التنافس بين الحيرة وغسان، وظلت لهجة قريش تواصل مسيرتها التطورية والارتقائية، ويكمل مكنصها من ثروة اللغات الأخرى.⁽¹⁾

وكانت لقريش رحلاتان - كما مر ذكرهما - في التجارة كل عام، رحلة الشتاء إلى بلاد اليمن، ورحلة الصيف إلى بلاد الشام والحيرة والحبشة، فسمعوا مناطق الناس، وتذروا وجوه العذوبة في أعذبها، وتناولوا كثيرا من ألفاظ تلك الأمم، فدخلت في كلامهم، وأعرابها من الرومية والفارسية العبرانية، والحبشية والحيمرية، وعلى ذلك صارت كأنها مجمع لغوي يحوط اللغة العربية ويرفع من شأنها، ويزيد في ثروتها، ويحقق فيها كل معاني الحياة اللغوية.

نصوح اللغة العربية وراقاؤها:

هكذا بلغت اللغة العربية إلى عصر الأدب الجاهلي، راقية، عالية محيطتها بحاسن لغات عديدة وحضارات كثيرة، وتقدر على التعبير عن كل شيء بمحمدق وسما، وتتمكن من الإفصاح عما يدور في كوا من الشعور من المشاعر الجياشة ولون الصدور من الأحاسيس الغرامية، وتستطيع أن ترسم على لوحات فنية تصوير المناظر الفطرية والخواطر الرقيقة.

مرت اللغة العربية بهذه المراحل المختلفة وصارت لغة النشاطات الثقافية والاجتماعية والفكرية، وتعد أكبر وأقوى الروابط بين القبائل المختلفة لدى العرب، وفي الوقت نفسه رمز إلى حياتهم المشتركة وسمان لها.⁽²⁾

وهي في نظامها القديم ومرورها على ألسنة الشعراء وبسرهما للمحفظ وامتلائها بالظلال الدقيقة للدعاني، تصلح لجميع الأغراض الشعرية والنثرية آنذاك، وتقف موقف الرابطة التي لا توحد بين القبائل المختلفة والمتباينة⁽³⁾ الطابع والمتعددة النظم للسانة والاقتصاد فحسب، وإنما هي عامل مهم للترابط بين هذه القبائل، وصارت وصلة الانتقال للثقافة العربية عبر العصور.

ومما لا شك فيه أن العرب قد بلغ مبلغا عظيم الغاية في الفصاحة والبلانة، وشهدت اللغة العربية أوج ازدهارها الفكري وارتقاها الفني في النظم، حيث حفظ لنا التاريخ صوراً من بلانة القول وأنواعاً من روعة التعبير في شكل المعاني التي تحتل منزلة سامية ومكانة موقوتة في الأدب العربي، وسجل لنا القرآن الكريم ما كان عليه العرب من قوة في التعبير وإجادة في السب، وقدرة على التأثير في السنتي، حيث قال:

﴿ وَإِنْ لَقَوْلُوا فَتَنَّا قَوْلَهُمْ ﴾⁽⁴⁾

وكما قال الله سبحانه تعالى في مقامر آخر:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِيبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾⁽⁵⁾

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية). ص 55.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية). ص 55.

3- الدكتور محمد يوسف الشريحي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة، بحوث حول القرآن، (وقفية الأمين الغازي للفكر القرآني)..

4- القرآن الكريم، سورة المنافقون، الآية رقم 4.

5- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية رقم 204.

تعرضت هذه الآيات الكريمة ونظائر حالها بلغة العرب ومدى وصولهم إلى الغاية في روعة البيان وبلغ التأثير في القول، وكان الحصر الجاهلي يبعد من أطول الصور نضوجاً وأغنى حاشياتها نضجاً، وأغزرها تطوراً التي رافقت نمو اللغة العربية وتطورها وتفتحها على أسس تتحقق آخرها، وتتوارفوساً لها، متنازرة ومتمازجة حتى استتمت نضجها وتفوقها وبلغت بعظمتها وأصالتها نزول القرآن الكريم بها وأكمل مسيرتها حاجة الارتقاء العالمي والتقدم الحضاري، والتطور الفني، والازدهار العلمي والاشراق.

نزول القرآن الكريم في اللغة العربية:

لا شك أن القرآن الكريم معجزة بلاغية لا سابق لها ولا لاحق في تاريخ الآداب الإنسانية من حيث البلاغة والنصاحة في غاية التأثير في الأقدار والنفوس، والإحاطة بجميع الموضوعات مارك منها وما دق، وما سهل منها وصعب، ولم يتفك الأمر إلى هذا الحد، بل تحدى العرب جميعاً تحدياً واضحاً بأن يعارضوا القرآن الكريم جودةً وروعةً معني ودلالةً وفكراً أو موضوعاً، ولم يقدر العرب رغم أنهم يرون أنفسهم فرسان البلاغة وأساطين الأدب وفصحاء العرب وبلغاء هم، ثم تحدواهم بأن يأتوا على الأقل - آية واحدة ترقى إلى مكانة تنفس روعة الأسلوب القرآني ونظيره الفريد، فجز العرب جميعاً رغم أنهم حاولوا محاولات عديدة - للاحصائها - ولكنها ذهبت سدى،⁽¹⁾ وجزوا جميعاً عن الأتيان بآية واحدة، واستسلموا أمام فصاحتها العلية وبلاغتها الرائجة واعترف بذلك الوليد بن المغيرة الذي كان يعد حينئذ من أفضح العرب قولاً أو بلغتهم تأثيراً حين سمع تلاوة القرآن الكريم من سورة "فصلت"، فلم يتناك نفسه حتى قال قولته المشهورة: "والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الأئس ولا من كلام الجن، وإن رده لحلاوة وإن حله لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمحقق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه".

وكان نزول القرآن الكريم أعم حدث أحدث ضجة كبيرة في الأدب العربي بصفة عامة والأدب الجاهلي بصفة خاصة؛ لأنه هو وجدان العرب، وحرك كوا من شعورهم، وشهد قرة تتعمق البليانية وأرصف ذوقهم الأدبي، واستثار قدراتهم الفكرية في روعة التعبير وقوة التأثير جودة وبراعة.⁽²⁾

النظم القرآني:

لقد تحول النظم القرآني إلى جرافيا ضاظت اللغة العربية تنهل من معينه، وترتوي من ينبوعه، إذ فرض الإسلام تلاوة القرآن الكريم على كل مسلم في الصلاة وعمادة، وأجرى على تلاوته ثواباً وقرارة للمفسر الإنسانية، وحث الإسلام على حفظه وترتيله⁽³⁾ ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾⁽⁴⁾ كان لذلك أثر واضح في نشر اللغة العربية امتداداً رقتها، وتجر والمسلمون لفظ القرآن الكريم ونشره ونشر رسالته في الجزيرة العربية كلها.

نقرأ قول الله سبحانه وتعالى في ذكر يوم القيامة:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحْمِلُهُ أَبْجَارُهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ زَيْبَاتٍ أَوْ تِيَّامٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ فَيَنْبَغِي لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٥﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾⁽⁵⁾

والآيات الكريمة تعرض لنا مشهداً يوم القيامة متعاقبة، فمشهد زلزال الأرض واضترها، وقد اختار الله سبحانه وتعالى كلمة "زلزال" التي توجي في نفس الإنسان صميم الأداء إلى الاحترار والارتعاش، وتتحول هذا الإحساس من اللسان إلى الجسد كله، مما يدل على أن القرآن الكريم قد بلغت منزلة راقية في اختيار الكلمة من حيث النطق ودلالته.⁽⁶⁾

ويليه مشهد إخراج الأرض أثقالها مرة واحدة حيث لا تتحاج الأرض إلى محاولة ثانية، وبجمال التعبير يتمثل في صورة الاستعارة التصريحية حيث يقصد بالاثقال الجن والإنس، لوضوح الدلالة على ذلك، في أجمل صورة وأبلغ تأثيراً في النفس، وأخذت الأرض تخبر كل إنسان كيف عاش عليها إطاعة لله أو عصياناً له، ثم يلي مشهد آخر وهو يساق الناس في شكل الأفواج والقبايل والشعوب لروية النتائج لأعمالهم التي قد متها أيديهم، وفي النهاية يوفي كل نفس ما عمل من خير وشر حتى مشقال ذرة دون ظلم وعدوان، لأن العدالة هي العدالة الإلهية.

وحده المشاهد التي ترسم لنا ملامح حياة كل إنسان ما يصادف يوم القيامة في غاية الجمال والروقة حيث كانت العبارات موجزة ومركزة تتميز بإيجاز واختصار مع دقة في استيعاب المعاني وعمق في رسم ملامحها، إذ لا تعقيد في فهم معانيها، ولا موعوق من لفظ غريب، ولا تكلف في الرصانة ولا ركاكة في الترتيب، كأننا نرى هذه المشاهد تجري تحت أعيننا في عقود من درر الألفاظ الممتعة.

الأسلوب القرآني:

- 1- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة). ص 30-33.
- 2- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة). ص 30-33.
- 3- الدكتور حسن السلواي، اللغة العربية والتطور الحضاري (رؤية للمستقبل)، مجلة جامعة القدس المنوطة للأبحاث والدراسات- العدد السابع- نيسان 2006م، ص 214-246.
- 4- القرآن الكريم، سورة المزمّل، الآية رقم 4.
- 5- القرآن الكريم، سورة الزلزال.
- 6- محمد على صابوني، صفوة التفاسير، المجلد الرابع، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار القرآن الكريم)، 1981م، ص 596.

اختلط القرآن الكريم أسلوباً فريداً في ذمّه، نسيجاً كاملاً في عينه، ليس له سابق ولا حق في تاريخ اللغة العربية، وهو الذي يقوم عليه عمود الأدب العربي كلّ منذ ظهوره، فعلى هديه أخذ الكتاب والخطباء والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية لأنه يتجلى بمزيج من الرصانة والمتانة، وفيه حلاوة وطلاوة، فاللفظ على قدر المعنى الذي رسمه، والمعنى لا يرتفع عن العقول ولا يتعالى عن الأفهام، وتسترخ عند قراءتها النفوس وتتبدل عند سماعه الآذان، وتطمئن بذكره القلوب، وهو ليس شعر أُموزوناً يجري على أسنة الشعراء العرب ولا سجعاً مقفىً، يتعاطاه الكهان والخطباء، وإنما هو منط وصدّه، مجزبان به وملغ في فصاحه، فصلت فيه آيات القرآن بفواصل تطمئن عندها النفس، تحل الألفاظ روحاً عذبة. (1)

هكذا تميزت اللغة العربية بفضل القرآن الكريم بتوحيد الآفة، ومستودع حصارها، ومرآة فكرها، فهي نشاطها الفكري وصداه الذي يتردد أصداءها في آفاق المجتمعات العربية، ولم تلبث أن أضواءها أن انتشرت في الجزيرة العربية، وسرعان ما وصلت إلى خارجها مماهاياً لانتقال واسع في تاريخ اللغة العربية وآدابها من جانب، وذيوع الثقافة العربية وانتشارها في العالم كله من جانب آخر. (2)

جمع القرآن العرب على لهجة قريش: إن أول ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جمع العرب على لهجة قريش، وعمل على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق، وإكمال السيادة للهجة القريشية، إذ كان العرب قد أقبلوا على تلاوة هذا الكتاب العظيم آناء الليل وأطراف النهار، ولم يلبث أن انتشرت هذه اللهجة وعمت بين معظم القبائل العربية شمالاً وجنوباً، وزاد الطين بلة لما فتحت الفتوح، ورفح لواء الإسلام متر فرافاً، أخذت هذه اللهجة تتوفاً في مشارق العالم الإسلامي ومغاربها، وفوق ذلك أن تلاوته قد فرضت على المسلمين في الصلوات مما أدى إلى السيادة الكاملة والسيطرة التامة لهذه اللهجة دون سائر اللهجات. (3)

جعلها لغة دينية ذات ثقافة إسلامية:

إن القرآن الكريم جعل اللغة العربية لغة دينية تحمل في طياتها معجزة إلهية تتنفس دستور الحياة كاملاً، كما في سعادة البشرية في الدارين، وحدانية الإنسانية كلّها، وقيم روحانية وعقلية واجتماعية وإنسانية حيث لم يحتمل جانباً من الحياة الإنسانية إلا وأرشد لها ويورثها وهداها، وهذا ما جعلها تتميز بجملة من سائر الأديان الأخرى وجميع المذاهب، وفيها المنهاج الكامل لكل أمة وسبيل النجاح لكل إنسان حيث لا يستغنى عنها كل من يريد الاتمّاء إلى هذا الدين، فصارت هذه اللغة بفضل القرآن الكريم لسان النبوة ثم تحولت إلى لغة الحضارة الإسلامية التي أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ومن الشر إلى الخير والظلام إلى الضوء.

جعلها لغة خالدة:

ومن آثار القرآن الكريم حوله إلى لغة خالدة، حافظت على أصولها اللغوية من دون تغيير أو تبديل، وقد أكسبها لباس الخلود والبقاء حيث أخذت تستجيب مادام القرآن الكريم يتجلى، وقد تولى الله سبحانه وتعالى بحفظه ورعايته كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهَا وَإِنَّا لَمُنْقِطُونَ﴾ (4) في حين أن لغات العالم كلها تتعرض بعد مرور زمن، وعقب تقلبات الدهر وتغير الأحداث، وتغاقب الأجيال، ولكنها تتميز لارتباطها بالقرآن الكريم حيث لا يعجز بها التغيير ولا يصيبها تبديل.

القاموس القرآني:

إن القرآن الكريم جعل اللغة العربية لغة عالية مترامية الآفاق بعيدة النطاق حيث أدخل فيها معان جديدة ومصطلحات حديثة لم يكن العرب يعرفونها، ولم تكن اللغة العربية تتطوع عليها من قبل، مما جعل رقعته تتسع، وجمعها تنضم، ودائرته تتمدد، ومن هذه المعاني والمصطلحات الحديثة هي الصلاة والزكاة والإيمان والكفر والنفاء، والإشراك والتوحيد والإسلام والميراث إلى غير ذلك.

وفي الحق أن الأمر لا ينحصر في الألفاظ، وإنما كان لدين جديد، له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه، من قصص الأنبياء السابقين وبعثته الإنسان ونشور يوم القيامة، والحساب التامة في يوم القيامة، وصور الثواب عباد الأعمال الصالحة والعذاب للأعمال السيئة، ويتمثل ذلك كله في الدين الحنيف الجديد والشريعة الإسلامية المتفردة التي لاحظ فيها للعقول البشرية كلها، ولذلك إن القرآن الكريم قد أعطى اللغة العربية قاموساً قرآنياً.

تهذيب اللغة العربية وتصفيتها:

ومن آثار القرآن الكريم أنه هدب اللغة العربية من الكلمات الوحشية والألفاظ الغريبة التي تجرى على الألسنة بسهولة وبسر، وكانت هذه اللغة متداولة في العصر الجاهلي، وسد مسدها أسلوباً مجزواً ينحصر في غاية البلاغة ومنتقى الفصاحة، وهو أسلوب متين جزل، له حلاوة وطلاوة، يتمتع بجزالة الكلمات وعذوبة المعاني ورصانة التراكيب. (5)

1- الدكتور بيسوني عبدالفتاح قيود، من بلاغة النظم القرآني، الطبعة الأولى، (الأزهر: مطبعة حسين الإسلامية) 1992م، 5-2.

2- الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة). ص 30-33. المصدر نفسه.

4- القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية رقم 9.

5- خالد بن أحمد إسمايل الأكوخ، أثر القرآن في التوحيد اللغوي، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 2002م)

تأثر الشعراء في عصر صدر الإسلام بالقرآن الكريم والدعوة الإسلامية والقيم الدينية حيث تعرضوا لها في شعرهم وأخرجوا منها القيم الجاهلية القائمة على الجحمة والشرك والباطل، وهكذا أن القرآن الكريم قد صغى اللغة العربية من حيث الفكر والمحتوى من القيم الجاهلية وحل محلها قيم إسلامية تحافظ شغاف قلوبهم المؤمنة.

عقريّة اللغة العربيّة:

تكونت بالقرآن الكريم الوحدة اللغوية عند العرب، ولا يتأتى ذلك إلا بفضل القرآن الكريم والحديث الشريف النبوي، وحفظ القرآن والحديث اللغة العربية على الدهر أن تصفح أو تنقرض أو تتشعب، وتصح كما انتهت إليه مصير لغات العالم من تباين اللهجات واختلاف مناجي الكلام، بل صارت اللغة العربية لا تتلبس كلها، ولا تساح معانيها، ولا تتشابه عن بعد أو قرب، بل هي التي تعطي المعاني الظاهرة والباطنة لفرق واضحة بكل بساطة وإحاطة، وانها اثرية خصبة تتسع أيضاً لاختراع الكلمات الجديدة التي تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة. وتتميز اللغة العربية بأنها تجمع بين ميزتين أساسيتين، وهما: الاشتاق والإعراب، وبالاقتناع تحول المادة الواحدة إلى أشكال مختلفة وصيغ متعددة، وفقاً للمعاني الجزئية، والمدلولات المختلفة، التي تنشأ وتولد عن المادة اللغوية الأصلية، فيقال: "وضغ" "يضغ" "وضغاً"، ومن هذه المادة واضح، موضوع، صيغ مختلفة ذات معاني جزئية مختلفة، مما يدل على مدى قوتها في اختراع الكلمات الجديدة وتحويلها إلى مصطلحات حديثة.⁽¹⁾

أما بالإعراب، فتتبعين الوظيفة المعنوية لكل كلمة وضعت في التركيب والسياق، وتتحدد المعنى لكل كلمة حسب وضعها في الجملة في مكان الفاعل أو المفعول، أو حال أو تمييز، كما نرى في هذا المثال،

ضرب حامدٌ خالدًا

ضرب خالدٌ حامدًا

إن الإعراب يوظف المعنى بأن "خالد" في الجملة الأولى مفعولاً وفي الثانية فاعلاً حسب وضعه في الجملة، وتعين حركة الإعراب في آخره فاعلاً وصحياً موحياً.⁽²⁾ تهدت اللغة العربية بنظام اللغوي الدقيق الذي يتجلى أساساً من ضرب النحت والقلب، والإعلال والحذف، مما يجعل الكلمات تجرى على ألسنة بسهولة ويسر، وتجرّد الكلمات عن التورع والتعذر في النطق والأداء، والتخلي عن التكلف والتضنع.

ويتجلى من كل ما سبق أن اللغة العربية تتمتع بنظام اللغوي الدقيق في ألفاظها من حيث الاشتقاق والسعة ويمكن إيجاد ألافاظ الجديدة، والتعمق في إعرابها من حيث تركيب الجملة وسياقها في توظيف الكلمات حسب قوتها في المعاني الجديدة المختلفة، كما تتميز لغة الشعر العربي بثروته وسعة من الصور النحوية والبلاغية بألوانها المختلفة من حسن اختيار الكلمات بحالاً وروية وإيجاءً وليناً، وكثرة تراوفاً وسعة وامتداداً، مما جعلها تعد أرقى اللغات العالمية لتطوراً من تركيبات الجمل ودقة التعبير، أما المفردات، فهي غنية في مادتها أخذاً وتأثيراً، طلباً وعطاءً.⁽³⁾ أصبحت اللغة العربية لغة حية قادرة على مواكبة التطور والتقدم، فهي تستطع الآن أن تتعقب مصطلحات العلوم الحديثة، كما أنها استوعبت كلام الله عز وجل وما ضاقت به زرعاً.

الأثر والتأثير:

سافرت اللغة العربية لارتباطها بالقرآن الكريم إلى البلاد الأخرى التي فتحتها لها العرب في فترة ليست بجزيرة أو كتكتحت لغات أصلها وحلت محلها، وامتزجت بثقافتها امتزاجاً واسعاً عن طريق الاحتكاك والأثر والتأثير والترجمة والتأليف، وأقبل عليها الناس إقبالاً واسعاً، وكان أثر هذا الامتزاج الفكري والثقافي واضحاً في شيوخ الأفكار الجديدة التي وسختها في دائرتها، والمصطلحات الجديدة التي لم تكن شائعة بها، وأصبحت من أرقى لغات العالم في العصر العباسي، وظهرت كإحدى حضارة جديدة، وهي الحضارة العربية الإسلامية وتواردت على حياتها أمم كثيرة تاهلته من علومها سنين عديدة.

وتأثرت بلغات الأمم والشعوب وأعجت بأسلوبها الفريد إجاباً مما أدى إلى هجر لغاتها وحل محلها اللغة العربية بما فيها من خصائص جمالية مميزة خالدة، وسرعان ما أخذت هذه الأمم والشعوب تعبر بمجادها وخطوط عقولها وعصارة أقطارها، وكل ما أنتج في صدرهم دار في غلدهم من مشاعر وأحاسيس.⁽⁴⁾

خاتمة البحث ونتائج:

كانت اللغة العربية لهجة من اللهجات العربية التي تنطق بكيفية اللهجات وما إن نزل القرآن الكريم فيها، فصارت لغة عالمية حية بفضلها وشموخها، وأصبحت هي الأساس الروحي والفكري الذي تشاد عليه حضرة الأمة العربية ووحدها، ولا شك أن حضارة حية قوية ذات قدرة فائقة على استيعاب لمجدر من معطيات الحضارة الحديثة وإنجازاتها. مرت - اللغة العربية - بمرحلة عديدة في تصورها وتطورها وارتقت إلى هذا المستوى الأدبي والفني، ومن حقها علينا أن نحافظ عليها، وأن نتعهد بالرعاية والنماء حتى تصح من طليعة اللغات في العالم، ولا يكون ذلك إلا إذا وجدت رعاية كاملة من الجامعات والحكومات، وفي نهاية هذه الدراسة توصلت إلى بعض النتائج المهمة، وأهمها يلي:

1- ارتقت لهجة قريش إلى لغة أدبية وتطورت إلى وعاء حضارة جديدة وهي الحضارة الإسلامية، وحظيت بفضل القرآن الكريم بمكانة عالية، وهدت لسان النبوة والحضارة الإسلامية.

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البوليسية)، ص 55.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البوليسية)، ص 55.

المصدر نفسه.

4- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البوليسية)، ص 55.

- 2- أعطاهما القرآن الكريم المعجم القرآني، وعمل بها على توحيد اللسجات ثم القبائل ثم ضبطها للقواعد وأجرى حولها العلوم المختلطة والفنون المتعددة لخدمته.
- 3- انفتحت اللغة العربية بالحضارة الإسلامية القرآنية على حضارات الأمم التي سبقتها، حيث آثرت في كل حضارة وثقافة حالت واعترضت دون مسيرتها للنهضة والارتقاء، واصلت نشاطها كل قوة وحيوية حتى ارتقت واستحلت نصحتها وتفوقها، وبلغت بطاياها وعمقها وأصالتها حضارة تواردت على حياتها أمم كثيرة تاهلة من علومها قر وناعيدة.
- 4- حفظها القرآن الكريم من الانقراض والضياع إلى الأبدية وجعلها لغة حية ناطقة ومنطوقة في العالم مادام القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. الدكتور أحمد بام الساعي، مختصر كتاب المعجزة لغة القرآن الكريم إجازة أم مجرد عميقة، الطبعة الأولى، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، ص 15.
3. الدكتور عمر فرخ، عقريّة اللغّة العربيّة، الطبعة الأولى، (لبنان: دار الكتاب العربي، بيروت)، 1981م، ص 15.
4. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 15.
5. محمد عاطف، ومحمد نصار، وعبد الجواد، وأحمد إبراهيم، أدبيات اللغة العربية، الطبعة الأولى، (مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة)، 2012م، ص 12.
6. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، الطبعة الأولى (مصر: المكتبة العصرية، 2002م)، ص 84.
7. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 15.
8. محمد علي صابوني، صفوة التفسير، المجلد الرابع، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار القرآن الكريم)، 1981م، ص 607.
9. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة)، ص 30-33.
10. الدكتور محمد داود، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، جامعة قناة السويس، ص 9.
11. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 52.
12. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 55.
13. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 55.
14. الدكتور محمد يوسف الشرجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة، بحوث حول القرآن، (وقفية الأمين الغازي للفكر القرآني)..
15. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة)، ص 30-33.
16. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة)، ص 30-33.
17. الدكتور حسن السلواوي، اللغة العربية والتطور الحضاري (رؤية للمستقبل)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات - العدد السابع - نيسان 2006م، ص 214-246.
18. محمد علي صابوني، صفوة التفسير، المجلد الرابع، الطبعة الرابعة، (بيروت: دار القرآن الكريم)، 1981م، ص 596.
19. الدكتور ميسوني عبد الفتاح قيود، من بلاغة النظم القرآني، الطبعة الأولى، (الأزهر: مطبعة حسين الإسلامية)، 1992م، ص 2-5.
20. الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة العاشرة، (مصر: دار المعارف، القاهرة)، ص 30-33.
21. خالد بن أحمد إسماعيل الأكوغ، أثر القرآن في التوحيد اللغوي، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 2002م)
22. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 55.
23. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 55.
24. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، (مصر: المطبعة البولسية)، ص 55.